المحاضرة السادسة:كبار المعلمين مكانتهم ووظائفهم وعلاقتهم بالإدارة الإستعمارية:

عرفت الجزائر خلال هذه الفترة بروز عدد من العلماء والمدرسين الذي كان لهم دور في الحفاظ على الهوية في إطار مواجهة التحديات الإستعمارية ، وقد تمثل ذلك في الأئمة والمفتين ممن عايشوا الحملة الفرنسية والتدمير الإستعماري والإستيلاء على المؤسسات الدينية والأوقاف، وتباينت المواقف في التعامل مع الإدارة الإستعمارية بين النخب العلمية، مع تصديهم للثقافة الإستعمارية والحفاظ على هوية المجتمع أمام محاولة التغريب الإستعماري، وفي هذا الجانب تولت عدة شخصيات جزائرية مهمات ووظائف رسمية مثل الإفتاء أو التدريس نذكر على سبيل مثل:

1-مصطفى بن الكبابطي(1775-1860) مفتي المالكية بالجزائر من أصل أندلسي، درس في الجامع الكبير بداية من سنة 1824، وأسندت له مهمة الإفتاء خلفا للشيخ بن القلاتي، كانت له مواقف من القرارات الإستعمارية حيث كان يُبلغ الأهالي عن قرارات فرنسا ويعطي رأيه ورأي الشعب أمام هؤلاء وأولئك، فقد أمرته فرنسا أن يدعوا الأهالي إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية ليتعلموا اللغة الفرنسية، لكنه كان يخاف على أذهان الأطفال فكان يعد الفرنسيين ثم يخالفهم ويماطل في هذا الأمر، فأمرهم المفتي بالسماح للمعلمين الفرنسيين بالمجيء إلى الكتاتيب وعندما يحضرون يغادر الأولاد الحصة،ومن القضايا التي وقف فيها إلى جانب الأهالي قرار ضم الأوقاف إلى أملاك الدولة وفرض اللغة الفرنسية على الجزائريين،فعارض القرار ورأى فيه تعديّا على حرمة الدين وعلى لغة القرءان والكرامة الثقافية، ونظرا لمواقفه المتصلّبة في كثير من القضايا قامت الإدارة الإستعمارية بنفيه إلى الإسكندرية سنة 1943 وبقي بها إلى أن توفي[1].

2-مصطفى القديري: المفتي المالكي ولد بالجزائر حوالي سنة 1193هـ /1763م، تولّى مهمة الإفتاء سنة(1259هـ/ 1843م) في الجامع الكبير مكان الشيخ مصطفى الكبابطي ، و كان الشيخ القديري كبير السن يعاني الضعف، ولم يكن متمكنا من اللغة العربية، وكان متساهلا نوعا ما مع الإدارة الاستعمارية وقبوله بأوامر (بوجو) طالبا من الإدارة السماح لابنه بالدراسة في فرنسا، وليست له ممانعة في

[1].سعد الله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط خ ، دار البصائر ، الجزائر، 2007 ، ص ص 11-24.

تعليم أطفال المسلمين على يد الفرنسيين، ولم يترك القديري مؤلفات أو إجازات في علوم معينة [2].

4-أحمد بوقندورة: تولى وظيفة الإفتاء على المذهب الحنفيى سنة 1877 بالجامع الجديد، ألقى خطبة بالفرنسية بالجامع الجديد أمام الحاكم العام لويس تيرمان سنة 1882، والحاكم العام جول كامبون أثناء تأبين الشيخ أحمد التجاني في الجامع الجديد بالعاصمة سنة 1897 بالعربية بحضور المرابطين وبعض شيوخ الطرق الصوفية، وكان من معارضي التجنيد الإجباري، وبعد وفاته خلفه ابنه في منصب الإفتاء،التقاه بيرم الخامس خلال رحلته إلى الجزائر ووصفه بأنه "من الأخيار له تبحر في العلوم السياسية ويتقن اللغة الفرنسية له حمية في الدفاع عن أهله ووطنه وله مشاركة في الفقه والحديث"[3].

5- حميدة العمالي: ولد بالعاصمة سنة1227هـ/ 1813م حفظ القرءان الكريم وتفقه في الدين ، تولّى وظائف رسمية منها وظيفة الإفتاء سنة 1856،وعضوية المجلس القضائي، ودرس بالجامع الكبير العلوم والأدب واللغة، والتوحيد بمتن الجوهرة، والعقائد السنوسية، حيث تخرّج عليه عدد من الطلبة، وظلّ في الفتوى إلى وفاته سنة 1873[4].

6- علي بن الحفاف: علي بن عبد الرحمان بن محمد المعروف بـ "ابن الحفاف" المقرئ والمفتي المالكي أحد أبرز علماء الجزائر من عائلة عرفت بالعلم، تكون تكوينا علميا، تولى وظيفة الإفتاء والتدريس المالكي بالجامع الكبير على إثر وفاة حميدة العمالي سنة 1873، كما ترك آثارا هي عبارة عن تقاييد ومؤلفات وأشعار منها "منة المتعال في تكميلة الإستدلال" في القراءات السبع، و"الدقائق المفصلة في تجديد آية البسملة"، يذكر بيرم الخامس أنه التقاه في رحلته إلى الجزائر وكانت له رغبة في الهجرة إلاّ أنّ بيرم الخامس أشار إليه بالبقاء في الجزائر من أجل نشر العلم، وله إجازات لبعض المعاصرين أمثال محمد بيرم الخامس، والمكي بن عزوز، والقاضي شعيب بن علي توفي سنة1307هـ/ 1890[5].

---

[2].سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،ص 73.

[3] .محمد بيرم الخامس، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،م1، ترجمة: محمد بيرم الخامس، تحقيق: علي بن الطاهر الشنوفي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999،ص 1283.

[4].سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،ص 78.

[5].بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار،م1،ص 1282؛ الحفناوي، المصدر السابق،ص 260.

-عبد القادر المجاوي: 1848-1913: أحد قادة الإصلاح في الكتلة المحافظة،كان والده قاضيا بتلمسان، تولّى تكوينه الأولي بتلمسان ثم انتقل إلى المغرب الأقصى أين استكمل دراسته في القرويين، بعد رجوعه إلى الجزائر نشط في العمل الإصلاحي متأثرا بالعمل المشرقي ورواد النهضة الفكرية بعد أن سافر إلى الحج والتقى عددا من العلماء، واشتمل عمله الإصلاحي على التعليم الديني والعمل الصحفي والتأليف، والمساهمة في تأسيس المدارس الحرة لمحاربة الجهل والسياسة الاستعمارية، تولّى إمامة مسجد الكتاني بالعاصمة، وعمل كمدرس في الثعالبية، وأستاذا للعربية والشريعة الإسلامية في المدرسة الجزائرية الفرنسية بالعاصمة وقسنطينة لمدة سنوات، من مؤلفاته منظومة "اللمع في إنكار البدع"، و"إرشاد المتعلمين" في مبادئ العلوم، و"نصيحة المريدين"، تكوّن على يده عدد من القضاة والمترجمين والمدرسين المصلحين ممن حملوا لواء المقاومة الثقافية والإصلاح أمثال السعيد بن زكري، الشيخ عمر بن الدراجي، كان من عاة الإصلاح الإجتماعي والتعليم، تمتع بشعبية كبيرة وبترحيب وقبول من جماعة النخبة رغم خلافهم مع المحافظين[6].

-محمد بن أبي شنب: (1869-1929) من مدينة المدية تعلم القرءان والعربية وكذا الفرنسية في مسقط رأسه المدية التحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة وتخرج منها معلما تنوع تكوينه المعرفي بين اللغات والتاريخ والعلوم الأخرى،تقلّد مهمة التدريس بالمدرسة الكتانية بقسنطينة سنة 1898ثم المدرسة الثعالبية سنة 1901، ودرّس بجامعة الجزائر كأستاذ محاضر سنة 1908، اهتم بالإنتاج الفكري والتأليف والتحقيق مثل تحقيق :كتاب "البستان في كر العلماء والأولياء بتلمسان"، و"رحلة الورتلاني"، وترك مجموعة من المقالات والأبحاث العلمية الأخرى منها " تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب"[7].

-محمد المولود بن الموهوب: (1863-1930) ولد في قسنطينة ونشأ بها حفظ القرءان ودرس العلوم الأولية، أخذ العلم عن الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني بالمدرسة الكتانية، كما لازم الشيخ المجاوي ودرس عليه العلوم الشرعية، تولّى مهمة التدريس سنة 1895 بالمدرسة الكتانية وبالمسجد الأعظم بالموازاة مع تدريسه الفلسفة والأدب العربي بالمدرسة الجزائرية الفرنسية بقسنطينة، تولّى

[6].سعد الله، الحركة الوطنية،ج2،ص 147-148.

[7].محمد الصالح الصديق، محمد بن أبي شنب أصالة وحداثة، مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد 1،الجزائر،2005، ص 136-137.

وظيفة الإفتاء سنة 1908 كانت له محاضرات أدبية واجتماعية يقدمها للعامة والطلاب في نادي صالح باي نشرتها الجرائد العربية والفرنسية، منحته السلطات الفرنسية الوسام العلمي سنة 1904، كان له تأثر بالعلوم الحديثة، ودعا إلى الأخذ بأسباب التقدم والإهتمام بالتعليم بكل الوسائل والعناية بالتفقه ودراسة الأدب والتاريخ، والعلوم الطبيعية والزراعة والكيمياء والرياضيات، ودعا إلى تدعيم التعليم العربي الإسلامي ومبدأ المساواة بين الجزائريين والكولون وإلى الإصلاح ضمن الحركة الوطنية والجامعة الإسلامية، من تلاميذه عبد الحميد بن باديس الذي أخذ من دروسه وتأثر بأفكاره الإصلاحية[8].

-عبد الحليم بن سماية (1866-1933): المدرس والمصلح ينتمي إلى أسرة مشهورة بالعلم والمعرفة، وهي من الأسر العثمانية العريقة، ولد الشيخ عبد الحليم بالعاصمة وتكون بها حيث درس الكتب والمؤلفات، استهل نشاطه بالخطب والوعظ، وتأثر بن سماية بالمجاوي وكانت له نظرة ثاقبة ونقدية في الوسائل التربوية حيث اقترح تعديلات في المناهج التربوية، وتقلد للتدريس بالمدرسة الحكومية بالعاصمة سنة 1896 حيث كان يدرس علم تفسير والتوحيد والأدب، كما درس كذلك بالمدرسة الثعالبية، والجامع الكبير بالعاصمة، واحتل مكانة ضمن رواد الإصلاح والدعاة البارزين للجامعة الإسلامية، ولم تستطع الإدارة الإستعمارية منعه من النشاط ومع ذلك فقد تحصل على وسام المعلمين سنة 1910،وبالرغم من معارضته للإدارة الاستعمارية في عدة قضايا أبرزها قضية التجنيد الإجباري، وكانت آراؤه محترمة من مختلف الفئات والجهات الرسمية بما في ذلك الإدارة الإستعمارية، ترك بعض المؤلفات منها المخطوطة مثل شرح الشيخ عبد الحليم بن سماية على مفهومة الشيخ مكي بن عزوز متكونة من 52 صفحة، ومواضيع فقهية مثل أحكام الربا، وكتب فكرية مثل كتاب" فلسفة الإسلام"[9].

هذه نماذج من العلماء الذين اشتهروا بالتدريس والتأليف وتولوا وظائف دينية كالإمامة والتدريس والإفتاء والقضاء إضافة إلى شخصيات علمية أخرى لا تقل أهمية في نشاطها عن الفئة المذكورة في المدن والأرياف تصدرت لنشر العلوم الدينية وتحدّي سياسة التجهيل الإستعمارية والتغريب بالدعوة والتدريس والتأليف.

---

[8].سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2 ،ص 193-194.

[9] .عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 415-416.